

النموذج اللبناني.. جائحة بعشرة أمثالها

عديده نصار
كاتب لبناني



بالشان الصحي تبني استراتيجية صحية ما لمواجهة الموجة الثانية من الوباء واقتصر دورهم على الاستثمار فيه سياسيا وماليا.

جائحتنا ليست في الوباء فقط، ولو اقتصر عليه لهابت ماسانتا. جائحتنا متعددة الوجوه والأعراض، والنتائج الكارثية لم ترتب فقط على تفشي كوفيد - 19 الذي دخل البلاد في فبراير من العام الماضي لأن المسؤولين، بعضهم طوعا وبعضهم مسaire للحزب المسلح، تركوا منافذ البلاد مُشرعة للقادمين من البلاد الموبوءة في إيران وإيطاليا وسواهما.

نعم، لقد فتحو البلاد في موسم أعياد الميلاد ورأس السنة لأن المؤسسات السياحية المستفيدة إما تابعة لهم وإما لأزلامهم. نعم، وبعد أن حلت الكارثة، أمروا بالإغلاق العام للبلاد وفتحو حدودها لتتهرب ما يمكنهم من محروقات ومواد أساسية مدعومة من أموال اللبنانيين ليتسنى لنظام الأسد وعصاباته تكديس المزيد من الثروات.

نعم، اكتظت المستشفيات وبات من العسير على مُسعفي الصليب الأحمر أن يحضوا بسرير أو أي مكان للمصابين الذين ينقلونهم. لكن، وخلال عام من تفشي الوباء، لم يحاول القِيمون على الشان الصحي فتح مستشفيات عديدة لا تزال متوقفة عن العمل رغم الحاجة الملحة إليها، منتشرة في سائر المناطق اللبنانية، بعضها كامل التجهيز وبعضها قيد التجهيز وبعضها الآخر بحاجة إلى تجهيز كان يمكنها أن تستوعب، لو فتحت، مئات المصابين وتسعهم.



المنظومة، التي فضلت نظاما طائفا متعدد الرؤوس وعززته بالحجر الطائفي والمذهبي كأسلوب يربط المواطنين بالحزب ربطا غير ممكن الفكك منه، هي من أتاحت لفايروس كورونا أن يغزونا ويتفشى في مدننا وقرانا

لا نطالبهم أن يحذوا حذو الصين في بناء وتجهيز مستشفيات قادرة على استيعاب مئات المصابين، في عشرة أيام، ولكن الهبات التي وصلت منذ أكثر من أربعة أشهر بما فيها المستشفيات الميدانية وأجهزة التنفس التي ظلت مرمية تحت أراج المدينة الرياضية في بيروت شأنها شأن الحطين العراقي الذي ترك هناك ليغرق في مياه الأمطار وتعتبت بث القوارض، هل كان يتعذر تركيبها ووضعها في خدمة المصابين؟ أم أن تضارب مصالح الثنائي حزب الله وحركة أمل ومحاولتهما تجيير مثل هذه الخدمة الملحة لهذا الطرف أو ذاك، له الأولوية على حياة الناس؟

الإ يكفي أن تبقى كل هذه المنظومة عرضة للتلطف وبعيدة عن خدمة المواطنين في عز الحاجة الحيوية إليها، لاعتبارات تتعلق بتنازع قوى السلطة وتضارب مصالحها في توظيفها سياسيا أو ماديا، إذ تجد في تشغيل هذه المؤسسات الحيوية فرصة لوضع اليد على المغنم في التعيينات الإدارية وفي التوظيف السياسي، لندرك حجم الاحتقار الذي تكنه هذه القوى المسيطرة للمواطنين وحققهم في الحياة بالمقارنة مع سعياها الحثيث لفرص مصالحها على حساب الناس؟

يقارنون النموذج اللبناني بالنموذج الإيطالي ليخدعوا الناس باعتباره لا يوفر جهدا، بل وكانهم يرهقون أنفسهم في مواجهة الجائحة، في حين يتعذر على المواطن اللبناني أن يجد في الصيديات حبة أسبرين أو علبه بانادول! المواطن اللبناني الذي سحقوه فقرا وعوزا، وهم يسحقونه تحت وطأة الجائحة والإغلاق وفقدان حبة الدواء وموطئ قدم في مستشفى، وتستغربون إذا قلنا: جائحة بعشرة من أمثالها!

الخطاب العنصري والطائفي ليس جديدا على قيادات التيار الوطني الحر (العوني) كما أنه ليس غربيا على رئيسه جبران باسيل. ما ضجت به وسائل التواصل الاجتماعي خلال اليومين الماضيين حول إعطاء اللقاح المضاد لكوفيد - 19 للبنانيين دون سواهم من المقيمين كان خطوة إضافية من هؤلاء في الانحطاط الأخلاقي الذي يترعون فيه.

وكان خطابهم وسلوكهم الطائفيان والعنصريان قد طالا، ليس فقط السوريين (وهم حلفاء النظام الأسد) والفلسطينيين، وليس فقط العمال الأجانب إلى أي جنسية انتموا، بل طالا أقرانهم من اللبنانيين أيضا بحسب طوائفهم ومناطقهم وسوى ذلك.

هذا الخطاب الشعبي المنحط قادهم إلى إطلاق اسم "اللحاق للبنانيين أولا" على الرغم أن اللقاح لم يصل بعد وأنه لم توضع خطة واضحة وشفافة للحصول عليه وتخزينه وتوزيعه. كما أن هذا السلوك القميء كان وراء قرار بلدية الحدث قبل مدة، منع المسلمين من السكن في البلدة. يتحالف العونيون مع نظام

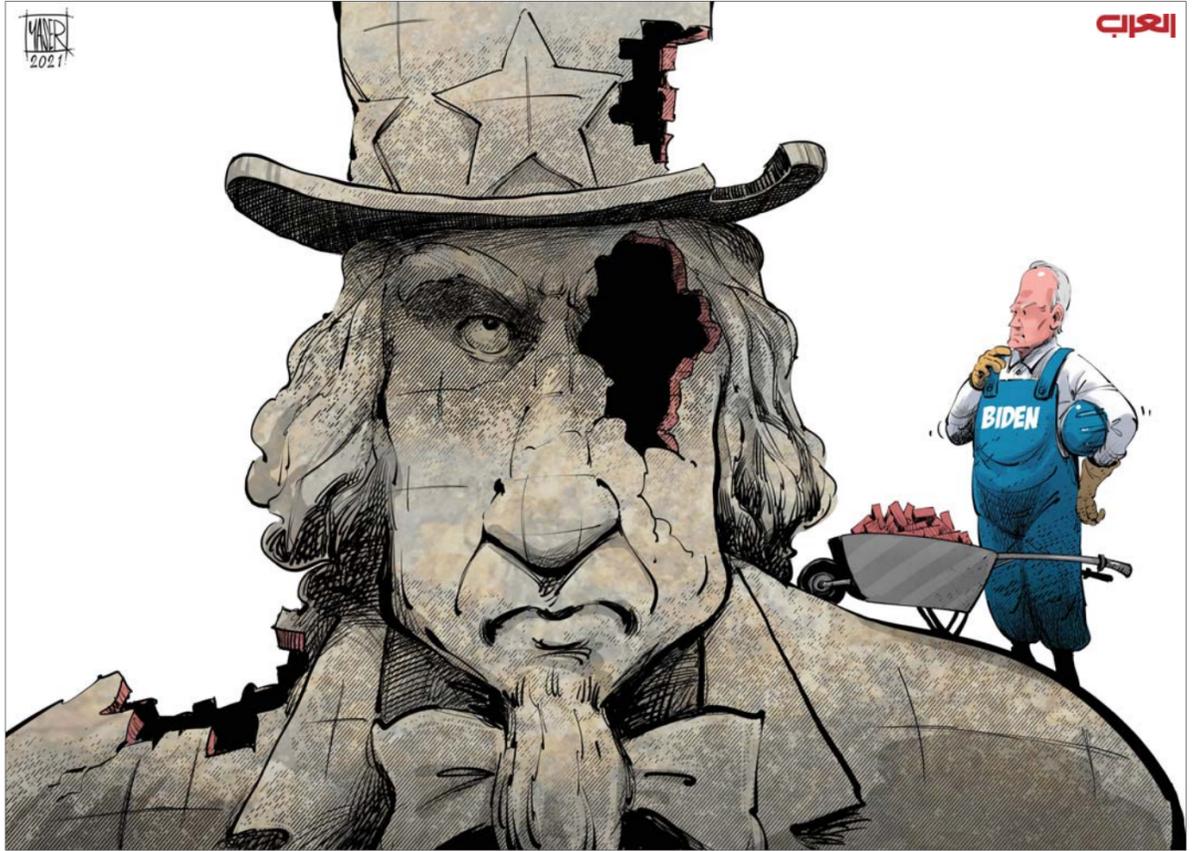
بشار الأسد كرمي لعيون حزب الله، ويشهرون العنصرية في وجه اللاجئين والعمال السوريين، ويتحالفون مع حزب الله ويمنعون المسلمين الشيعة من السكن بين ظهرانهم، إيجارا وليس حتى تملكا. وبذلك يتفوقون على كافة أقرانهم في ائتلاف القوى الطائفية المسيطرة في لبنان وهذا ما جعل زعيمهم جبران باسيل دون سواه عنوانا لأهزوجة الـ"هيا هيا هو"

التي اطلقتها شبان 17 تشرين ووصلت أصدائها إلى كافة دول العالم؛ هذه واحدة. أما الثانية والثالثة و... العاشرة فيمكن إيجازها بالتالي: على مدى الأسابيع الماضية، كثر الحديث في لبنان عن النموذج الإيطالي وأبدي المسؤولون خشيتهم، بل زعروهم من تكرار السيناريو الإيطالي في لبنان في ما يتعلق بجائحة كوفيد - 19 حين ضرب الوباء المدن والمناطق الشمالية في إيطاليا في موجهة الأولى ربيع العام الماضي، حيث ضاقت غرف المستشفيات وممراتها وحتى باحاتها الخارجية بالمصابين بالوباء ووصلت أرقام الضحايا إلى الآلاف يوميا.

ونحن، في لبنان اليوم، في قلب الموجة الثانية من الوباء، حيث ارتفعت أعداد الإصابات اليومية بالنسبة إلى أعداد الفحوصات بشكل مربع، وقد ضاقت المستشفيات العاملة أيضا بالمصابين وارتفع عدد الضحايا إلى أرقام مخيفة كل يوم قياسا بتعداد السكان، نخوض نموذجا الخاص الذي لا يشبهه لا سينااريو الإيطالي ولا أي سينااريو آخر. نموذجا الخاص الذي تتزده منظومة حاكمة أثبتت بالتجربة المتكررة على مدى سني حكمها احتقارها للمواطنين ولحياتهم وتواطؤها في قتلهم في أكثر من مناسبة.

هذه المنظومة التي فضلت نظاما طائفا متعدد الرؤوس والتبعيات الخارجية وعززته بالحجر الطائفي والمذهبي وبالزبائنية كأسلوب يربط المواطن بالحزب أو الزعيم ربطا غير ممكن الفكك منه، هذا النموذج هو ما أتاح لفايروس كورونا أن يغزونا وهو من فسح له المجال ليتفشى في بيئاتنا وهو من جلب الرعب للمواطنين بهذا التفشي الواسع اليوم وعدم توفر سرير لكل مصاب.

لقد تمكنت إيطاليا من تجاوز الموجة الأولى من الوباء بجهد حيث على كافة المستويات ووضعت حكومتها إمكانيات طائلة وخاضت أجهزتها تجارب ومحاولات حثيثة وواسعة لتجنب الموجة الثانية أو ملاقاتها بأقل الخسائر، في حين لم تُصَب الموجة الأولى من الوباء في لبنان سوى بضعة آلاف ولم يتجاوز عدد ضحاياها العشرات. وخلال ما يقارب السنة لم يحاول المسؤولون سواء السياسيون أم المكلفون خاصة



عظمة أميركا

اكتفى بكلام عام عن ضرورة منعها الحصول على السلاح النووي. كيف ذلك؛ لم يدخل في التفاصيل، لكن مديرة الأمن الوطني أبريل هينز، كانت أكثر وضوحا عندما أكدت أن "الطريق ما زالت طويلة أمام العودة إلى إحياء الاتفاق في شأن الملف النووي الإيراني"، وهو اتفاق وقع في العام 2015.

لا بد من الإشارة هنا، إلى وزير الخارجية المقترح، أي بلبينكن، الذي تطرق طويلا إلى المحرقة اليهودية وكيف طالت أفرادا من عائلته، لم يعترض أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ على تصفية إدارة ترامب لقسام سليمانى قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" الإيراني في الثالث من كانون الثاني - يناير 2020 بعيد مغادرته مطار بغداد. بشكل عام، لن تكون عودة العلاقة بين الإدارة الأميركية وإيران بالسهولة التي يعتقدونها المسؤولون في طهران. الأكد أن لا استعجال أميركا لإعادة الحياة إلى الاتفاق النووي مع إيران من دون توافر شروط معينة، بما في ذلك مشاركة دول الخليج العربي وإسرائيل في أي مفاوضات لتحقيق هذا الغرض. هذا على الأقل ما قاله علنا غير وجه بارز في الإدارة الجديدة... خلاصة ما قاله بايدن في يوم تنصيبه إن "الديمقراطية انتصرت" وإن المهمة "توحيد الشعب والأمة". خرجت أميركا أقوى مما كانت من تجربة اقتحام أنصار ترامب لمبنى الكابيتول في واشنطن. أظهرت الديمقراطية الأميركية أن لديها أنيابها وأن ليس سهلا تجاوز مؤسسات الدولة الأميركية، خصوصا دستورها.

لا شك أن تحديات كثيرة تنتظر الإدارة الجديدة. التحديات الداخلية رغبة لدى الديمقراطيين والجمهوريين في طي صفحة ولاية ترامب الذي يتبين كل يوم أن نجاح سياسته الخارجية في مجالات معينة لم تكن من صنعه هو، بل هناك من صنعه له. سيأتي يوم تكشف فيه تفاصيل هذا النجاح وأساره...

أميركا خرجت أقوى مما كانت من تجربة اقتحام أنصار دونالد ترامب لمبنى الكابيتول في واشنطن وأظهرت الديمقراطية الأميركية أن لديها أنيابها وأن ليس سهلا تجاوز مؤسسات الدولة الأميركية خصوصا دستورها

"عندما دخلت هذا المكتب (مكتب الرئيس) في هذه اللحظة، امتلكني الشعور نفسه بالرهبة والاحترام الذي كان امتلكني قبل أربع سنوات (يوم بدء ولايتي الرئاسية). أعرف أن الشعور نفسه سيمتلك أيضا". خلص إلى القول "عندما ستقرأ هذه الرسالة، ستكون أنت رئيسا. أتمنى لك ولعائلتك كل الخير. إن نجاحك الآن هو نجاح لبلدنا".

على الرغم من وباء كورونا (كوفيد 19) الذي قتل 400 ألف أميركي حتى الآن، استطاع منظمو حفلة أداء اليمين تحويل جو المناسبة إلى جو فرح وتفاؤل. لم يكن خطاب بايدن نفسه بعيدا عن هذا الجو إذ سعى إلى التشديد على صلابة الديمقراطية الأميركية، كما ظهر في الحفلة نجوم أميركيون مثل ليدي غاغا وجنيفر لوبيز.

هذا لا يمنع التساؤل ما الذي ستكون عليه ولاية جو بايدن؟ الأمر الوحيد الأكيد أن الإدارة الجديدة ستصرف إلى معالجة

وضع الاقتصاد والنتائج الكارثية لـ"كوفيد - 19". سيكون لدى الإدارة خط واضح في مجال السياسة الخارجية. يقوم هذا الخط على تشكيل جبهة عريضة تضم أميركا وحلفاءها لمواجهة الصين التي باتت تشكل التحدي الأكبر للولايات المتحدة. هذا يعني، في طبيعة الحال، التخلي عن سياسة إدارة ترامب التي قامت على تجاهل الحلفاء الأوروبيين والآسيويين، خصوصا اليابان وكوريا الجنوبية وفيتنام. معروف أن لدى فيتنام حساسية خاصة بها تجاه الصين بسبب قربها منها من جهة والنزعة لدى الشعب

الفيتنامي إلى رفض أي هيمنة خارجية من جهة أخرى. سيكون على الإدارة الجديدة التعاطي مع تحديات اسمها روسيا وكوريا الشمالية وإيران وتركيا. كان انطوني بلبينكن المرشح لتولي موقع وزير الخارجية في إدارة بايدن واضحا كل الوضوح في شهادته، أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ، عندما تطرق إلى تركيا. قال بالحرف الواحد "إن تركيا لا تتصرف تصرف الحليف". بالنسبة إلى إيران

خير الله خير الله
إعلامي لبناني



تعطي حفلة أداء الرئيس جو بايدن ونائبته كامالا هاريس اليمين فكرة عن عظمة أميركا. كانت الحفلة التي أجريت في واشنطن مناسبة كي تتأكد القدرة التي تمتلكها الولايات المتحدة على تجديد نفسها في ظل الديمقراطية

ومؤسسات الدولة التي ما زالت تمتلك الاقتصاد الأكبر في العالم. لن تحذ من هذه القدرة العجيبة لأميركا، وهي سر قوتها وقوة مؤسساتها، تصرفات تنسم بالبرعونة من نوع مقاطعة دونالد ترامب حفلة التسلم والتسليم بين الرئيس المنتهية ولايته والرئيس المنتخب. هذا أمر يحدث للمرة الأولى منذ مئة وخمسين عاما. كيف يمكن لشخص تولي الرئاسة الأميركية الإقدام على مثل هذه حماقة كاشفا أنه لا يعرف بلده في العمق...

وعد ترامب، الذي غادر البيت الأبيض قبل بدء حفلة تنصيب بايدن ونائبته كامالا هاريس واشنطن إلى فلوريدا، بـ"العودة إلى الحياة السياسية. لكن الأيام الأخيرة من وجوده في الرئاسة، خصوصا منذ بدء ظهور نتائج الانتخابات في الثالث من تشرين الثاني - نوفمبر الماضي، كشفت أنه من أولئك السياسيين الذين لا يعرفون كيف يخسرون. فمن لا يعرف كيفية التصرف ساعة الخسارة وكيفية تقبل الخسارة لا يستطيع أن يريح يوما. إذا كانت حفلة أداء جو بايدن

وكامالا هاريس اليمين أظهرت شيئا، فهي أظهرت أن المؤسسات الأميركية لفظت دونالد ترامب ولا يمكن أن تقبل بعودته رئيسا أو لاعبيا سياسيا في يوم من الأيام. ما فعله أنصار ترامب الذين اقتحموا مبنى الكابيتول في السادس من الشهر الجاري ليس حادنا عرضيا في أي شكل، لا يمكن للمؤسسات الأميركية أن تغفر لترامب خطيئته. لا يمكن لهذه المؤسسات تقبل شخص وصل إلى البيت الأبيض بفضله ويفضل صناديق الاقتراع وما لبث أن تمرد عليها وعلى الأسس التي تتحكم بها. في مقدم هذه الأسس الانتقال السلمي للسلطة واعتراف الخاسر بخسارته.

كان في استطاعة دونالد ترامب الاستعانة بما كتبه جورج بوش الأب، أحد أعظم الرؤساء الأميركيين، عندما خسر أمام بيل كلينتون. تبقى رسالة بوش الأب، وهي بخط يده، إحدى أجمل الرسائل التي يكتبها رئيس خاسر، لم يستطع الحصول على ولاية ثانية، إلى رئيس رايح لا يمتلك الكثير من المؤهلات التي كان يمتلكها بوش الأب. مما جاء في الرسالة المؤرخة في 20 - 01 - 1993 الآتي:

